

المحاضرة 11: الرسالة الفنية

برع الكتاب الأندلسيون والمغاربة في كتابة الرسائل، وتنوعت أغراضها حتى شملت الرسائل التي تتحدث عن الحروب والمعارك وتصفها بشكل بارع جداً، كما دارت حوارات بعض الرسائل الأدبية بين الزهور والنوار وتناولت وصف الطبيعة، وحوى بعضها الآخر الدعابة والفكاهة. وقد لمعت العديد من أسماء الكتاب العظام في مجال الرسائل الأدبية، منهم: ابن شهيد في رسالته التوابع والزوابع. ابن زيدون في الرسالة الهزلية. ابن الحسين سراج بن عبد الملك وابن أبي الخصال في الرسائل الزرورية. ابن خفاجة في رسالة وصف الطبيعة. ابن حزم الأندلسي في رسالة طوق الحمامة في الألفة والألاف.

وقد تنوعت موضوعات الرسائل بنوعيتها الديوانية والإخوانية في المغرب والأندلس كثيراً، ومن أهم موضوعاتها:

-رسائل البيعة: منها رسالة بيعة أهل إشبيلية لأبي يعقوب يوسف الموحي بإمرة المؤمنين من إنشاء أحمد بن محمد، وهي تحوي توقيع البارزين من أهل إشبيلية سنة 563هـ، مما جاء فيها "...فإنه لما اجتمعت طائفة التوحيد، وهم الذين تحضرهم من الله حاضرة التوفيق، وينظر إليهم نظر الاقتداء والاهتداء من ورائهم من أهل الحق والتحقق، على تحديد البيعة المباركة لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبي يعقوب بن أمير المؤمنين .. فجددنا بيعته على الاسمية المباركة فرضاً أوجبه الشرع بوجوب الإلزام"، كما نصّت هذه البيعة على شروطها كاملة والمتمثلة في "فبايعناه على السمع والطاعة بيعة إيمان وأمانة، وعدل وعبادة..."

-مقاليد الولاية والقادة والقضاة: من نماذج الرسائل التي يُعيّن بموجبها الولاية رسالة الخليفة الحكم المستنصر بالله الأموي إلى أصبغ بن محمد بن فطيس يوليه نصف كورة رية جاء فيها: "...فإنّها تستدام النعمة بشكرها، وتُعرف التضحية باستعمالها وبالنصيحة تتفاوت منازل العبيد لدى أسيادها، وقد رأى أمير المؤمنين فيك رأياً عظمت به عليك النعمة...ورأى تقليدك شطر كورة رية وهي من أهم كور الأندلس عليه..."

-تعيين القضاة

-الفتوحات: وتشتمل هذه المكاتبات على ذكر همّة المسلمين لنصرة الدين، واستعدادهم للنيل من عدوهم، والتنكيل به أشدّ تنكيل ثمّ يذكر الواقعة وما جرى بين الفريقين من قتال ومجاهدة، وتُختتم بالنتيجة وهي النصر على أعداء الله.

-رسائل الجهاد: من الرسائل التي تحث على الجهاد الكتاب الذي وجهه الحكم المستنصر بالله الأموي إلى الآفاق وإلى جميع عماله يخبرهم بحربه في المغرب الأقصى تضمّن دواعي الجهاد في الأندلس وأولها حماية الإسلام "...وأنبأهم أن الإسلام دين أصفيائه وملة أنبيائه وأوليائه كرم الله دعوته، وأفلج حجته وأعلى منزلته، وجعل كلمة حزيه العليا .."

التوقيعات: منها ما وقع به محمد بن محمد بن يوسف بن نصر سلطان غرناطة على رقعة شخص كان يطلب منه التصريف في بعض الشهادات المخزنية ويلح فيها فوقّع له:

يموت على الشهادة وهو حي ***إلهي لا تُمتّه على الشهادة

-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حرص الخلفاء والأمراء على التزام أوامر الله فوردت عنهم الكتب إلى الولاة والقادة والقضاة وغيرهم في الرفق بالرعية وإقامة الشعائر الدينية من صلاة وزكاة ومحاربة البدع والمسكرات.

بالإضافة إلى موضوعات أخرى كموضوع "المقصرون والخارجون عن الطاعة، الشكاوى والاعتداءات..."

كما تناولت الرسائل الفنية موضوعات أخرى كالتهاني، والتعازي، والاعتذار...